

فورين أفيرز: عزل بن سلمان قرار خطير.. وواشنطن مضطرة للتعامل مع الأمر الواقع



اتخذ الرئيس الأمريكي "جو بايدن" موقفاً أكثر تشددًا تجاه السعودية مما فعل سلفه. وفي حين قام الرئيس السابق "دونالد ترامب" بتدليل الحاكم الفعلي وولي عهد المملكة "محمد بن سلمان"، فقد أفرج "بايدن" عن معلومات دامغة حول تورط "بن سلمان" في مقتل الصحفي "جمال خاشقجي"، وأقر قائمة طويلة من المسؤولين السعوديين الذين يُعتقد أنهم متورطون في مؤامرة القتل ومماليقات أخرى للمعارضين، وخفّض المساعدات العسكرية للمملكة. لكن هذا التقويم للعلاقات مع السعودية لم يكن كافياً للعديد من منتقدي "بن سلمان".

وانتقد المدافعون عن حقوق الإنسان والمصفيون وحتى بعض المسؤولين الأميركيين السابقين "بايدن" لعدم إصدار عقوبات بحق "بن سلمان" مباشرة. وتستند مثل هذه الحجج إلى حد كبير إلى الحاجة إلى معاقبة منتهك حقوق الإنسان، مع غضب المصفيين بشكل خاص لأن "بايدن" لم يعاقب قاتل صحيبي مثلهم. وأشار بعض النقاد إلى أن "بايدن" قادر على إجبار الملك "سلمان" وبقية العائلة المالكة السعودية على استبدال "بن سلمان" بقائد جديد. وانتقد "نيكولاوس كريستوف"، كاتب العمود في صحيفة "نيويورك تايمز"، "بايدن" لعدم تصريحه أن "المملكة ستكون في وضع أفضل بوجود ولي عهد جديد". وقال "بروس ريدل"، الزميل في معهد "بروكينجز"، وهو مراقب محترم للشأن السعودي قضى عقوداً في مناصب حكومية أمريكية تتعامل مع الشرق الأوسط: "إذا كان هدف الولايات المتحدة هو سعودية معتدلة ومستقرة داخلياً وليس مصدرًا للاضطراب في المنطقة، إذن فلا مكان لـ بن سلمان في مستقبل السعودية".

لكن ما يفوت هؤلاء النقاد هو أن "بن سلمان" أصبح الآن ركيزة راسخة وثابتة في هيكل صنع القرار

ال سعودي . ويدعم من والده الملك "سلمان" ، عزز "بن سلمان" سلطته بلا رحمة ، تاركا الولايات المتحدة من بين آخر الفاعلين الذين يستطيعون وضع صوابط وقيود على سلوكه وسلطته ، إن لم تكن الوحيدة . ولن تنجح محاولة الإطاحة بـ"بن سلمان" من السلطة ، بل ستقضي على قدرة واشنطن على كبح سلوكه في الخارج أو في الداخل في الوقت الذي تحتاج فيه الولايات المتحدة إلى تعاون السعودية في القضايا الأمنية الملحة في كل من اليمن والمنطقة . ولذلك ، يتبعين على واشنطن التعامل مع "بن سلمان" .

من التوافق إلى الوحدة

ولعقود من الزمان ، حكمت السعودية مجموعة من الأمراء الذين شغلوا مناصب حكومية مهمة ومكانة عليا داخل الأسرة الحاكمة . وتم اتخاذ القرارات المهمة من خلال كبار الأمراء ، الذين كان لدى العديد منهم حق النقض . نتيجة لذلك ، عكست السياسات السعودية ، الخارجية والداخلية ، موافق إجماع . وكان التغيير نادراً وتدريجياً . وبالرغم أن العائلة المالكة فشلت في حل العديد من المشاكل أو اغتنام العديد من الفرص ، لكنها نجحت أيضاً في تجنب اتخاذ قرارات سيئة حقاً .

وساعد هذا النهج المحافظ المملكة بشكل جيد ، حيث مكنتها من تجاوز موجات عاتية في المنطقة بدءاً من القومية العربية الناصرية في الخمسينات والستينات ، والثورة الإيرانية عام 1979 ، وغزو "صدام حسين" لل科威ت عام 1991 ، ومؤخراً الربيع العربي عام 2011 .

وعندما كبر الأمراء الكبار وبدأوا في الوفاة ، بدأ أن أبناءهم بدأوا في إعادة تشكيل نظام الحكم فيما بينهم . وخلف الأبناء الآباء في مناصب مهمة مثل وزير الخارجية ووزير الداخلية وقائد الحرس الوطني . وكان الأبناء الآخرون ، الذين عملوا نواب وزراء لآبائهم ، على وشك أن يرثوا مناصب أخرى . وقرب نهاية حكم الملك "عبد الله" ابتعد قليلاً عن هذا النظام ، وعيّن "سلمان" وزيراً للدفاع بدلاً من نجل الوزير المتوفى حديثاً . لكن بعد ذلك في عام 2015 ، تولى الملك "سلمان" العرش وبدأ في تفكيك هذا النظام .

وبدلاً من حشد الإجماع ، ركز الملك "سلمان" السلطة في يد ابنه "محمد" ، وهمش الأمراء المتبقين من جيله وأولئك في الجيل التالي الذين يمكن أن ينافسوا ابنه المفضل . وجعل "محمد" ، الذي كان نائبه في وزارة الدفاع ، وزيراً . وأطاح الملك بأخيه غير الشقيق ، الأمير "مقرن" ، من منصب ولي العهد ، ثم في عام 2017 ، حل "محمد بن سلمان" محل ولي العهد آنذاك الأمير "محمد بن نايف" .

كما عين "سلمان" نجله "محمد" رئيساً للمجلس المسؤول عن وضع السياسة الاقتصادية والاجتماعية والمجلس الذي يشرف على شركة "أرامكو" ، وبذلك عزز "بن سلمان" سيطرته على أهم المؤسسات الاقتصادية في الدولة . وهو الآن صاحب سلطة منقطعة النظير في الداخل ، مقيداً فقط بملك مسن وضعيف بشكل متزايد . وأدت هذه التغييرات العميقية في هيكل السلطة داخل الأسرة الحاكمة السعودية إلى إزالة القيود التي جعلت السياسة السعودية في السابق تتسم بالحذر وبعيدة عن المغامرة ويمكن التنبؤ بها . وسمح "بن

سلمان" للمرأة بقيادة السيارة، وقيّد سلطة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرض ضرائب واسعة على السعوديين.

وكان السعوديون ذوو العقلية الإصلاحية يحثون على هذه السياسات لعقود من الزمن، لكن النهج المحافظ في عملية صنع القرار أحبط التغيير. وكان لدى "بن سلمان" فقط الإرادة والقدرة لإجراء هذه الإصلاحات. لكن جمع ولي العهد بين القوة والإرادة أدى أيضاً إلى قرارات متهورة وذات نتائج عكسية. وفي عام 2017، اعتقل "بن سلمان" أكثر من 300 من كبار رجال الأعمال والأمراء في البلاد، وحول فندق "ريتز كارلتون" في الرياض إلى أكثر السجون فخامة في العالم، وزرع ثقة المستثمرين الأجانب والمحليين على حد سواء.

وفي ذلك العام أيضاً، اختطف "بن سلمان" رئيس الوزراء اللبناني "سعد الحريري"، الذي كان يزور الرياض، وأجبره على الاستقالة من منصبه. وكان "بن سلمان" يأمل في حل أزمة سياسية في بيروت بشكل من شأنه أن يلحق الضرر بـ"حزب الله"، حليف إيران، لكن انتهى به الأمر إلى تعزيز الموقف السياسي للحزب بدلاً من ذلك.

وفي العام نفسه، انضم "بن سلمان" إلى البحرين ومصر والإمارات في مقاطعة قطر التي تضم أكبر قاعدة جوية أمريكية في الشرق الأوسط. وانتهت تلك المقاطعة في ديسمبر/كانون الأول 2020، بعد انقسام شركاء الولايات المتحدة الخليجيين فقط. وواصل "بن سلمان" حرباً غير مجدية ومدمرة في اليمن، واتخذ إجراءات صارمة ضد المعارضين، أبرزها الأمر بقتل "خاشقجي" عام 2018.

وبالرغم من هذه الأحداث، لا يوجد ما يشير إلى أن أعضاء آخرين من الأسرة الحاكمة متحالفون ضد "بن سلمان". ويُقال إن الكثير من الأمراء الأكبر سنًا غير راضين عن ابن عمهم الأصغر الذي لا يرحم. لكن ليس من الواضح ما إذا كانت لديهم الوسائل أو الجرأة لخوض مواجهة مباشرة مع الرجل الذي يسيطر على كل منافذ القوة والمال في المملكة.

وأدّت المصراعات السابقة على السلطة داخل الأسرة الحاكمة إلى انشقاقات علنية، في شكل تشكيّلات عسكرية يقودها أمراء متنافسون يواجهون بعضهم البعض، وأمراء بارزون ينسحبون من مواقعهم الحكومية الرسمية مع الاحتفاظ بألقابهم الرسمية ونفوذهم.

ولا توجد مثل هذه المكائد الآن، علينا على الأقل. علاوة على ذلك، عمل "بن سلمان" على تنمية ولاء الأفراد الأصغر سنًا في الأسرة، حيث قام بترقية الأمراء من الجيل الذي يليه إلى مناصب في المحافظات وأجهزة الدولة. وإذا تحرك أبناء عمومة "بن سلمان" الأكبر سنًا ضده، فليس هناك ما يمكن أن يضمن أن أفراد الأسرة سينضمون لهم.

آخر قيود السلطة

وبعد أن عزز سيطرته شبه الكاملة على الحكومة السعودية وأبقى المعارضة العائلية في مأزق، يواجه

"بن سلمان" تدقيقاً عملياً واحداً فقط قد يقيّد حرّيته في العمل، وبأيّدي من الولايات المتحدة. وتعتمد خطط "بن سلمان" الطموحة للتغيير الاقتصادي على الاستثمار الدولي، ويُلعب المستثمرون الأمريكيون دوراً رائداً. ولا يمكن أن يكون "بن سلمان" لاعباً في النظام المالي العالمي إذا وقفت واشنطن ضده. ولا تزال الولايات المتحدة أهم شريك دولي للمملكة والمضمانة الأمنية النهاية لها. ولا يوجد حاكم سعودي يريد تعريض تلك العلاقة للخطر.

وفضلت إدارة "ترامب" حماية ولـي العهد، وعدم التدخل في سياسة الأسرة الحاكمة السعودية. وكان لـ"بن سلمان" علاقة مباشرة مع صهر الرئيس الأمريكي "جاريـد كوشـنر"، ما سمح له بتجاوز القنوات الدبلوماسية العادية والوصول إلى البيت الأبيض بسهولة.

ومنحت الإدارة السابقة "بن سلمان" لقاء علـنياً مع الرئيس قبل "محمد بن نـايف"، الذي كان ولـي عهد السعودية في ذلك الوقت. ثم اتـخذ "ترامـب" قرارـاً غير معتاد بجعل الرياض أول وجهـة خارجـية له في منصـبه.

وأصبح "بن سلمان" ولـيا للـعهد بعد بـضـعة أشهر فقط من تلك الـزيارة. وتسبـب الضـوء الأخـضر من واشنـطن في تضليل "بن سلمـان" ودفعـه إلى الـاعتقـاد بأنـه يستطـيع التـصرف دون عـقـاب على المسـرح العالمي، ولا شكـ أنـ ذلك سـاهمـ في بعض أخطـائه الفـادـحة.

ومن المفهـوم أنـ إدارة "بايدـن" جاءـت إلى السـلطة بـوعـود تتـضمـن إعادة ضـبط العلاقات مع السعودية وـتـقيـيد سـلوكـ "بن سـلمـان". وقد صـاحـب اتصـال "بايدـن" الأول معـ الرياض نـغـمة إعادة التـقيـيم هـذه؛ حيث تـحدـث الرئيسـ الأمريكيـ معـ الملكـ "سلمـان"، وليسـ معـ ولـيـ العـهدـ، الذي تـلقـىـ بـصفـتهـ وزـيرـ الدفاعـ السـعـودـيـ، مـكـالـمةـ منـ وزـيرـ الدفاعـ الأمريكيةـ "لـويـدـ أوـستـنـ".

ولـمـ تـكنـ نـائـبةـ الرـئـيسـ "كامـلاـ هـارـيسـ"، وهوـ المنـصبـ المـكافـئـ لـ"بنـ سـلمـانـ"ـ كـوليـ للـعـهدـ، فيـ تـلكـ المـكـالـمةـ. كماـ أـنهـيـ "باـيدـنـ"ـ التـعاـونـ معـ الـحـملـةـ الـعـسـكـرـيةـ السـعـودـيـةـ فيـ الـيـمـنـ، وـعلـقـ شـحنـاتـ الأـسـلـحةـ إـلـىـ الـمـمـلـكـةـ، وـحـظرـ عـدـداـ منـ السـعـودـيـينـ، الـذـيـنـ يـعـتـقدـ أـنـهـمـ هـدـدـواـ الـمـعـارـضـيـنـ السـعـودـيـينـ، منـ السـفـرـ إـلـىـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ.

لـكـ إـدـارـةـ "باـيدـنـ"ـ لمـ تـصلـ إـلـىـ حدـ مـعـاقـبةـ "بنـ سـلمـانـ"ـ شـخـصـياـ لـدورـهـ فيـ مـقـتـلـ "خـاشـقـجيـ". وـرأـتـ أـنـهـ منـ أـجلـ أـنـ يـكـونـ لـهـ تـأـثيرـ عـلـىـ صـنـعـ الـقـرـارـ السـعـودـيـ، فـلاـ يـمـكـنـهاـ جـعـلـ ولـيـ العـهدـ شـخـصـاـ غـيرـ مـرـغـوبـ فـيـهـ، نـاهـيـكـ عـنـ إـجـبارـ العـائلـةـ الـمـالـكـةـ السـعـودـيـةـ عـلـىـ اـسـتـبـدـالـهـ.

وـسيـكونـ أيـ جـهـدـ لـلـإـطـاحـةـ بـ"بنـ سـلمـانـ"ـ مـوـقـعـهـ المـركـزـيـ فـيـ النـظـامـ السـعـودـيـ الـحـالـيـ بمـثـابةـ شـيـءـ قـرـيبـ جـداـ مـنـ مـحاـولـةـ تـغـيـيرـ النـظـامـ، وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ لـمـ تـحـقـقـ مـنـهـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ مـكـاـسـبـ فـيـ الشـرقـ الـأـوـسـطـ. وـآخـرـ شـيـءـ يـجـبـ أـنـ تـفـعـلـهـ إـدـارـةـ "باـيدـنـ"ـ هوـ التـورـطـ فـيـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ النـشـاطـ.

ولـنـ تكونـ فـكـرةـ الإـطـاحـةـ بـ"بنـ سـلمـانـ"ـ مجردـ أـمـنـيـاتـ بلـ تـفـكـيرـ خـطـيرـ، وـهـوـ تـكـرـارـ لـلـغـطـرـسـةـ الـتـيـ أـدـتـ بـالـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ إـلـىـ الـغـرـقـ فـيـ وـحـلـ الـعـرـاقـ وـلـيـبيـاـ وـأـمـاـكـنـ أـخـرىـ. وـقـدـ اـخـتـارـتـ إـدـارـةـ "باـيدـنـ"ـ بـالـفـعلـ

الطريق الأكثر حكمة، مهما كان مقاييسه، ويتمثل التحدي الآن في إيصال ما ت يريد وما لن تنسجم فيه مع "بن سلمان" بوضوح.

وكننا اتصال بولي العهد، يجب على "بايدن" تعيين سفير يمكنه نقل ما تنتظره الولايات المتحدة من السعودية، وهو التعاون على إنهاء الحرب في اليمن، ووضع حد للاعتداءات والمضايقات التي يتعرض لها المعارضون السعوديون في الخارج، والمساعدة في تقوية الحكومة العراقية لمنح بغداد خيارات بعيداً عن إيران للحصول على الدعم الدولي، والتشاور الكامل مع واشنطن لتلافي تكرار مغامرات مزعزعة للاستقرار مثل مقاطعة قطر واحتجاز رئيس الوزراء اللبناني.

وعلى سبيل الإغراء، يمكن للولايات المتحدة أن تعرّض على السعودية المساعدة في تقليل الاعتماد على عائدات النفط، ولكن فقط إذا وافق "بن سلمان" على احترام سيادة القانون في الداخل.

وقد يوفر عزل "بن سلمان" بعض الرضا العاطفي قصير المدى، ولكن بالنسبة لإدارة تتطلع إلى احتواء أزمات الشرق الأوسط وتجنب صراعات جديدة، فإن التعامل مع السعودية أمر ضروري. ويعني هذا التعامل مع "بن سلمان".

المصدر | جريجوري جوز | فورين أفيرز - ترجمة وتحرير الخليج الجديد